

دلالة الصورة في الكتاب المدرسي الجزائري
نماذج من كتاب اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم الابتدائي
The signification of the image in the Algerian samples from the Arabic
language book for the first year of primary education

بدرة كعسيس *

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف 02

badrak6@hotmail.com

| | |
|--------------------------|---------------------------|
| تاريخ القبول: 2021/05/25 | تاريخ الإرسال: 2021/05/14 |
|--------------------------|---------------------------|

الملخص:

مع تطور التقنية وولوجنا عهدا جديدا هو عهد الصورة الرقمية والعالم الافتراضي، ازداد الاهتمام بالصورة في بعدها التعليمي، نظرا للمضامين المتعددة التي تحملها، والتي عن طريقها يتمكن متعلمو اللغة من تجاوز مرحلة التلقي والانتقال إلى مرحلة الإبداع عن طريق اللغة. إن من أبرز الصور التعليمية، تلك التي تأتي مدعمة لسياقات لغوية مختلفة ضمن الخطابات الموجهة للمتعلم بين دفتي الكتاب المدرسي. والتي يسعى هذا البحث للكشف عن دلالاتها وفعاليتها في تحسين الفرص التعليمية، التي ينبغي للمتعلم أن يعرض لها، والوصول إلى الكفاءات المستهدفة من خلال تجلياتها المتعددة، وتقصي مجموع الرسائل التي تحملها -قصدا أو من غير قصد، علنا أو خفية- والتي تؤثر لا محالة في المتعلمين إيجابا وسلبا. وقد توصلت الدراسة من خلال العينات المدروسة إلى أن أغلب مضامين الصور كتاب اللغة العربية للسنة الأولى ابتدائي جاءت خادمة لموضوعاتها حاملة لمجموعة من الدلالات والقيم الإيجابية التي يهدف الكتاب إلى غرسها في المتعلم، وهذا لا يمنع وجود بعض الرسائل السلبية التي تستدعي إعادة النظر فيها.

الكلمات المفتاحية:

الصورة التعليمية، الكتاب المدرسي، الصور والرسوم التوضيحية، دلالة الصورة.

Abstract :

Era of digital image and the virtual world have much attention in the image in the educational dimension due to the various contents they carry that transmit the language learners from the reception stage to that of creativity through language. Images in different language contexts within the speeches of textbooks are the most prominent ones which this research seeks to reveal their significance and effectiveness in improving the educational opportunities that the learner should be exposed to through the studied samples. They achieve the targeted competences through their various manifestations and discover the intentional or unintentional messages they carry which affect learners positively or negatively. The study concludes that most of the pictures contents in the Arabic language book for the first year of primary school come to serve its subjects, carrying positive connotations and values that the book aims to instill in the learner despite some negative messages that require reconsideration.

Keywords:

Educational image, schoolbook, pictures and illustration, the connotation of the image.

مقدمة:

لقد كان استثمار الصورة في مجال التربية والتعليم مدار الاهتمام منذ القديم، نظرا للتفطن المبكر لما تتمتع به الصورة من قوة، وسلطة، وقدرة على التأثير والإقناع، حيث سمحت لها كل هذه الخصائص وأخرى متعددة بأن تكون الناقل الأمين للأفكار والدلالات، ولذلك سعت الحضارات على اختلافها إلى الاستفادة منها، خاصة في مجال التعليم، وليس هذا فحسب بل إن الصورة قد اعتبرت في بعض الديانات بمثابة المكمل للكلام الإلهي، وهو موقف مخالف تماما لما كانت عليه بعض النزعات الدينية من معاداة للصورة لمحاولة ردع انتشارها، على اعتبار أنها وسيلة للترويج للفتن.

وفي أيامنا هذه ازداد الاهتمام بالصورة في بعدها التعليمي، بوصفها وسيلة مساعدة على تحسين عملية التحصيل في مراحل عمرية مختلفة، حيث أصبح من المستحيل أن تخلو الحصة التعليمية من حضور للصورة بمختلف أنواعها، فهي ذات فوائد كبيرة في تنشيط عمليات الانتباه والإدراك والتذكر والتصور والتخيل، وهي العمليات المهمة في التعلم والتعليم. وتبقى أساليب توظيف هذه الصور بأنواعها هي العامل الحاسم في درجة الاستفادة منها في العملية التعليمية التعليمية.

من أبرز مظهرات الصور والرسوم التعليمية، تواجدها إلى جانب النصوص اللغوية ضمن الكتاب المدرسي، هذا الأخير الذي يُعد أهم السندات التربوية حيث لا غنى لأي منظومة تربوية عنه، فرغم التطور التكنولوجي والعلمي الذي أسفر عن إنتاج العديد من الوسائل التعليمية المتماشية مع روح العصر، إلا أن الكتاب المدرسي مازال يحافظ على وظيفة جوهرية على الرغم من انتشار الوسائل التعليمية المختلفة، كما أن للكتاب المدرسي صلة وثيقة بالمنهج التعليمي، من حيث كونه الأساس الجامع للفرص التعليمية التي ينبغي على المتعلم بمساعدة المعلم أن يعرض لها فيأخذ منها ويضيف إلى ذاته، ويبني شخصيته فيكبر علما ومعرفة.

ترمي هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على جانب مهم من جوانب الاستثمار التعليمي للصورة قصد الوصول إلى الكفاءات المستهدفة من خلال تجلياتها المتعددة في الكتاب المدرسي، وتقصي مجموع الرسائل التي تحملها -قصدا أو من غير قصد، علنا أو خفية- والتي تؤثر لا محالة في المتعلمين إيجابا وسلبا. وذلك من خلال محاولة الإجابة عن مجموعة من الإشكالات أبرزها: ماهي مجموع الرسائل التي تحملها الصورة التعليمية في الكتاب المدرسي؟، وهل هي قادرة على استثمار ما للصورة من قوة وسلطة وثناء دلالي في ترسيخ القيم وترقية المتعلمين فكريا وتربويا وإبداعيا؟.

ينطلق البحث من مجموعة من الفرضيات هي: تعمل صور الكتاب على تسهيل عملية التعلم من خلال ربط المتعلم بالمادي المحسوس، تجمع صور الكتاب بين الجمالية والتشويق شكلا والثناء الفكري والخيالي مضمونا، تحمل الصور التعليمية رسائل واضحة وأخرى خفية وجب كشفها والتحكم فيها لصالح عملية تعليمية ناجحة. وقد تم الاعتماد في الإجابة عن الإشكاليات والتحقق من صحة الفرضيات على منهجين أساسيين هما المنهج الوصفي والمنهج السيميائي؛ وذلك من خلال دراسة وصفية للنماذج المختارة تتبعها عملية التأويل والولوج إلى المعاني المحتملة التي تحملها.

1- مفاهيم نظرية:

1-1 التعريف بالكتاب المدرسي: وفقا للوثائق التي نشرتها هيئة اليونسكو العالمية، الكتاب المدرسي هو «الكتاب الذي تعرض فيه بطريقة منظمة المادة المختارة في موضوع معين، وقد وضعت في نصوص مكتوبة بحيث ترضي موقفا بعينه في عمليات التعليم والتعلم»¹؛ ووفقا لهذا المفهوم فإن الكتاب المدرسي يعد وسيلة تعليمية أساسية لكل من التلميذ والمعلم، وهو يؤدي دورا هاما في عملية التعليم والتعلم، وهذا ما يؤكد الدكتور "حسن عبد الشافي" حين يتحدث عن الكتب في العملية التعليمية التعلّمية قائلا: «الكتب من أهم مصادر المعرفة على الإطلاق ولا تنبع أهميتها من مجرد كونها سجلات لحفظ المعرفة الإنسانية وانتقالها من جيل إلى جيل فحسب. لكن ترجع أهميتها أيضا إلى أنها الوسيلة الرئيسية للتعليم، حيث إنه من المستحيل أن يتم التعليم دون وجود كتب مناسبة لمستويات التلميذ التحصيلية وقدراتهم واستعداداتهم»². أي أن الكتاب يجب أن يتوفر على جملة من المواصفات من ناحية الشكل والمضمون تتناسب والفئة التعليمية الموجهة لها، من أجل المشاركة في بلوغ أهداف المنهج والوفاء بالأغراض التي أعد من أجلها.

وفي السنوات الأخيرة تقدمت تكنولوجيا الطباعة تقدما كبيرا، وكان من نتيجة ذلك تحسن طباعة كتب الأطفال عامة، والكتب المدرسية بصفة أخص، من ناحية الكم والكيف، فصدرت كتب بمواصفات جيدة، حيث تم استخدام الصور والألوان على نطاق واسع، وبلغت مستوى عال من الإخراج الفني الأنيق الذي يجذب الأطفال إلى عملية القراءة، «ونادرا ما نجد الآن كتابا للأطفال يخلو من الرسوم أو الصور الملونة التي تلعب دورا كبيرا في توضيح مادة الكتاب، وتقريب مفهومها للأطفال، حيث إن الصورة والرسم يرتبط بنص الكتاب، ويلتحم به في تناسق وتكامل يزيد من شغف الأطفال بالقراءة والاطلاع، ويعينهم على الفهم والإدراك، فضلا عن تدريبهم على التذوق الجمالي وتقدير الفنون بصفة عامة»³، وعلى غير ذلك من الأهداف المبتغاة من وراء الكتب الموجهة للأطفال بأنواعها.

ويذهب "محمد الماكري" إلى مثل هذا الرأي عندما يقول «لم يعد الكتاب المنشور الجاهز للقراءة، هو هذا الكلام المطبوع بين دفتي الكتاب، أي الكلام المعروف بصريا للقراءة فقط، بل أصبحت العناية تشمل مجموع مظاهره كنتاج بدءا من الحجم مرورا بنوعية الورق والتقنيات الطباعية الموظفة في تنظيم الصفحة وانتهاء بالغلاف وتركيبه العلامي البصري (عناوين، صور، رسوم، ألوان...)، إذ لم يعد المعروف نصا فقط، بل هو إلى جانب النص فضاء بصري شكلي لا يخلو من دلالة»⁴.

وهذا ينطبق على الكتاب المدرسي، خاصة الكتاب الخاص بالأطفال في مراحل التعليم الأولى، حيث أصبح المختصون في وضع هذه الكتب، يولون عناية كبيرة لجانب الجودة والحجم والجاذبية، كما أنه من المهم ملاحظة دور الصور في الكتب الطفلية، وبالنسبة للقراء الصغار القاعدة الجيدة هي: أن تكون الصورة كبيرة والنصوص صغيرة؛ صور كبيرة وجيدة لأنه من الواجب أن لا يعطى أو لا يقدم للطفل إلا ما هو الأفضل⁵. بالإضافة إلى ضرورة «الإصرار وبقوة على أن تكون الكلمات غير

مستقلة عن الصور- إذ تبدو دائماً ممتزجة معها- وتبديل الكلمات بالرسم والصور، بالمفهوم الطفلي، يفقد الأولى معناها وقيمتها الرمزية، وينتهي كل شيء⁶. ولعل هذا ما جعل الكتب المدرسية في الفترة الأخيرة تتغير بسرعة لافتة، أملاً منها في الوصول إلى استيفاء الشروط المناسبة للفئة المستهدفة من ورائها، خاصة في ظل التطورات التي تشهدها المنظومات التربوية بصفة عامة.

2-1 ماهية الصور والرسوم التوضيحية التعليمية: تعد الرسوم التوضيحية

أحد أنماط الرسوم والتكوينات الخطية ويتفق العديد من الباحثين على مسمى الرسوم التوضيحية، أما البعض فيطلق عليها الرسوم التخطيطية، كما يطلقون عليها الرسوم التوضيحية التخطيطية، تدعى الرسوم التخطيطية أيضاً بالرسوم الخطية، إنها مجموعة من الأشكال والرموز والرسوم والخطوط والصور، يعتمد تقديمها على التمثيل البصري، بحيث تعين الطالب على فهم النص المكتوب من خلال قيام المتعلم باستنتاج ما يرد بالرسم التوضيحي وقراءته العميقة للملحق بهذا النص⁷، إن تسمية الرسوم التوضيحية أو التخطيطية إذن مرتبطة بالصور والرسومات التي تأتي مرافقة للنصوص، وهذه الوضعية تكون في مجمل الحالات بين دفتي كتاب، وبالتالي فبإمكاننا أن نسمي صور الكتاب المدرسي بالرسوم التوضيحية، على اعتبار أن الهدف الرئيسي من الكتاب المدرسي هو الهدف التعليمي.

تأتي هذه الرسوم والصور في شكل مختصر من أجل تسهيل وتيسير عملية الإدراك والفهم بالنسبة للمتعلم. إنها تمثل «رسوماً وأشكالاً تقريبية مبسطة ذات بعدين طول وعرض، تبتعد عن التفاصيل غير الضرورية، تصلح للتعبير عن أفكار ومفاهيم وعلاقات وظواهر علمية أو عمليات ومبادئ وقواعد ونظريات ومكونات شيء ما وغيرها، وتساعد على الإدراك العقلي والتفكير البصري وتكوين الثقافة البصرية بما يساهم في زيادة فاعلية عمليتي التعليم والتعلم إن أحسن إعدادها واستخدامها»⁸، لتبقى مسؤولية استخدامها ملقاة على عاتق المعلم.

إن الصور والرسوم التوضيحية الموجودة في كتب الأطفال متنوعة، من أشهرها الصور الفوتوغرافية، والصور المرسومة يدوياً. لكننا نلاحظ أن النوع الأخير يسيطر بقوة على الكتب المدرسية الخاصة بالطفل حديث السن، ف«الصور الفوتوغرافية تشتمل عادة على مادة لا تتصل مباشرة بالموضوع، كما أنها عادة تقرأ بصعوبة قد يرجع هذا إلى وجود العمق في الصورة، أو عدم التمييز بين ما هو أساسي فيها... والدعوى بأن الصورة أكثر إقناعاً من الرسم دعوى لا تقوم على أساس»⁹.

على الرغم من تعدد التعريفات المتعلقة بالرسوم التوضيحية التعليمية، إلا أن هذه التعريفات تتشابه مع بعضها إلى حد كبير، وتتفق على أنها رسوم وأشكال تقريبية مبسطة ذات بعدين طول وعرض تبتعد عن التفاصيل غير الضرورية، وتصلح للتعبير عن الأفكار والمفاهيم والعلاقات والعمليات والأحداث والظواهر والأشياء وغيرها، وتساعد على الإدراك العقلي والتفكير البصري وتكوين المفاهيم البصرية الذهنية بما يساهم في زيادة فاعلية عمليتي التعليم والتعلم، واستخدامها في المنهاج المقرر.

يقول أحد مدرسي الصفوف الأولى: «حينما أقرأ لهم قصة من دون أن أعرض عليهم صوراً، يشكو الأطفال دائماً قائلين: لا نستطيع أن نرى، ويفتر اهتمامهم ويستطرد المعلم قائلاً: إن الأطفال يبدأون عندئذ في الكلام والحركة دونما هدف، وأشعر في الحقيقة بضرورة تطوير مهارات التخيل لديهم»¹⁰. وهنا يظهر بوضوح دور الصور في فرض جو من الانتباه والتشويق... مما أدى إلى تزايد الاهتمام بتضمين الصور والرسوم في الكتاب المدرسي المنسجمة مع المحتوى التعليمي المقصود عبر الجمع بين اللغة اللفظية وغير اللفظية (اللغة البصرية) بهدف الحرص على جعل عمليتي التعليم والتعلم أكثر وضوحاً وفاعلية وأبقى أثراً.

3-1 مستويات قراءة الصور والرسوم التوضيحية التعليمية العلمية:

إن اكتساب المتعلم لمهارة قراءة الصور له فوائد عديدة، فهي تُكتسبه لغة جديدة هي اللغة البصرية التي تساعده على زيادة قدرته على الاتصال وفهم مجريات الأمور من حوله خاصة في عصرنا الحالي الذي أصبحت فيه الأشكال المتطورة بمختلف أنواعها وسائل أساسية للاتصال، وذلك بفضل استخدام آلات التصوير المتطورة التي ساعدت على نشر البصريات كلغة عالمية، كما أنها تكسب المتعلم البلاغة البصرية التي تتطلب إتاحة الفرص للمتعلم لرؤية الصور ومناقشتها والتفاعل معها لكي يصل إلى المعلومات والحقائق الموجودة في الصورة بنفسه.

إن الصورة تعمل على استثارة العمليات والقدرات العقلية، كما أن العقل بالفطرة إذا لم يجد صورة أمامه يميل إلى عمل صور ذهنية عن طريق ما يمكن أن يسمى بعيون العقل *Minds eyes* Arnold وهناك علاقة بين عمليات الذاكرة وبين استخدام الصور والرسوم التوضيحية وخاصة في عمليتي الاستدعاء والتعرف¹¹. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة الصور والرسوم وقدرتها على التحكم في المواقف التواصلية المختلفة، سواء كان هذا التواصل في شكل حوار خارجي (مع الآخر وهو المعلم أو الزميل في مثل هذه الحال)، أو داخلي (الصور الذهنية).

ونظراً لهذه الأهمية التي تحظى بها الرسوم والصور التوضيحية داخل الكتاب، فقد «أكدت نتائج دراسات عدة على أهمية تقديم مواد تعليمية تقتصر على الرسوم التوضيحية فقط، لتعويد المتعلم على استخدام وقراءة تلك الرسوم، ذلك أن المتعلم عادة يفضل الاعتماد على النص المرفق بالرسم مما يؤدي إلى نوع من الأمية البصرية، وبالتالي عدم الاستفادة من الرسوم البصرية في التعليم، ودراسات أخرى أكدت على ضرورة تضمين الرموز البصرية (الثقافة البصرية) في المناهج بمراحلها المتنوعة وأن استخدام الصور والرسوم التوضيحية بمصاحبة عبارات أو أسئلة موجهة يعطي نتائج تعلم أفضل»¹²، لكن تركيزنا على الدور الذي تؤديه الصور والرسوم التوضيحية في عملية تعليم الأطفال، لا يعني بأي حال من الأحوال، اقتصرها على مرحلة تعليمية دون أخرى، بل من الواجب أن نوليها اهتمامنا في كافة الأطوار الدراسية من الروضة والمدرسة وحتى الجامعة.

إن مهارات قراءة الصور والرسوم التوضيحية أصبحت من الأهداف المهمة التي يجب أن تتوافر لدى المتعلمين، وأن المتعلمين في المستويات المبكرة من التعليم الابتدائي يجب أن يكونوا قادرين على النظر إلى الصور والرسوم التوضيحية، وقراءة ما وراءها ابتداءً من الصف الثالث الابتدائي...

كما تعد الرسوم والصور وسيطاً مهماً في مجال التعليم والتنقيف أيضاً في مرحلة الروضة، حيث إن إهمال التنشيط العقلي المرتبط بالصور يؤدي إلى مشكلات لغوية نسبتها تتراوح بين (40- 60 بالمائة) في سن ما قبل المدرسة، خاصة وأن مستويات وعمليات قراءة الصور يتطلب الانتباه السليم والقيام بعمليات عقلية تتصف بالعمق¹³، كما أن الطفل في مثل هذه السن يكون شغوفاً إلى درجة كبيرة بالصور والرسومات والألوان، نظراً لخصوصية المرحلة التي يمر بها.

يرى العديد من المهتمين بمجال التعليم، أنه من الضروري أن نعلم أطفالنا -في مراحل متقدمة- كيفية قراءة الرسائل البصرية، ف «إذا كانت قراءة الكلمة المكتوبة يتم تعليمها للمتعلم وتدريبه عليها بأساليب متعددة فإنه يجب تعليم قراءة الصورة للمتعلم وتدريبه على قراءتها منذ نعومة أظفاره، حتى يتمكن من اللغتين اللفظية وغير اللفظية وتنشيط جانبي دماغه وتفعيلها حيث أن النصف الكروي الأيسر يختص بصفة أساسية بمعالجة المعلومات اللفظية، بينما النصف الكروي الأيمن يختص بصفة أساسية بالتصور البصري، مما يزيد من فاعلية لغة التعليم التي هي مختارات متوافقة من اللغتين اللفظية وغير اللفظية، وخاصة أن الواقع التعليمي يؤكد أن اللغتين لا تنفصلان كوسائل اتصال متكاملة في إثارة المعنى لدى المستقبلين»¹⁴. بالإضافة إلى أن المعلومات يجري تمثيلها في الذاكرة من خلال نسقين أو نظامين منفصلين لكنهما مترابطان تماماً، هما نظام التفكير بالصور العقلية والنظام اللفظي. لذا «ينصح كثير من خبراء التربية والتعليم بأهمية المزاجية بين الكلمة والصورة في المراحل المختلفة لتعليم الصغار والكبار أيضاً»¹⁵. لكن استفادة المتعلمين من الصور التعليمية لا يكون بطريقة آلية، وإنما يكون عن طريق التوجيه والتدريب على التأمل والتحليل، وقراءة الرسالة البصرية قراءة واعية.

إن وضع الصور والرسوم في الكتاب المدرسي كعامل مساعد للنص اللفظي يعد عنصراً مهماً من عناصر مقروئية (سهولة أو صعوبة) النص ومقروئية الصورة والرسم التوضيحية أيضاً، حيث تتوقف عملية قراءة الصورة على مجموعة من العوامل والمتغيرات المرتبطة بهذه القراءة لأنها عملية مركبة تشمل العديد من العمليات العقلية كما أن لها مستويات، لأن عملية قراءة الصور ما هي إلا عملية فك رموز شفرة الرسالة وصولاً لمعنى، وتشمل عملية فك الرموز خطوتين مهمتين هما: التمايز والتفسير¹⁶، وقد تعددت الآراء واختلفت في تحديد خطوات أو مستويات قراءة الصورة من باحث إلى آخر، بين من حافظ على نفس مستويات قراءة الصور عامة، والمتمثلة في مستوى العد، مستوى الوصف، ومستوى التفسير. ومن عدل فيها أو زاد عليها مستويات أخرى.

في هذا السياق يذكر "إسماعيل صالح الفرا" في دراسته حول "مهارات قراءة الصورة لدى الأطفال بوصفها وسيلة تعليمية تعلمية" مجموعة من الآراء لباحثين غربيين نجلهم أهمها فيما يلي¹⁷:

يحدد "بيترسون" Pettersson "ثلاثة مستويات هي الترجمة أي تحويل الصورة إلى وصف لفظي وهذا يقابل مستوى الوصف عند غيره ثم مستوى التفسير، ومستوى التقويم، ويُعدّ هذه المستويات من بين المهارات التي يجب أن تتوافر لدى الفرد لتعامله مع البصريات وهنا نلاحظ أنه

لم يذكر مستوى العد أو التعرف الموجودة عند غيره. في جانب آخر نجد "ليسي" "Lacy" يحدد أربعة مستويات لقراءة الصورة هي: التعرف، والتحليل، والتفسير، والتقويم. وهنا أضاف مستوى التحليل الذي يعني قدرة الفرد على تحديد التفاصيل الدقيقة الموجودة في الصورة، وإدراك العلاقات بين مكوناتها، مع إلغائه لمستوى الوصف.

كما أن "فريدت" "Fredetle" يحدد أربعة مستويات أخرى هي: مستوى الوصف، والتحليل، والتفسير الابتكاري (ويعني قدرة الشخص على توليد استجابات وتعبيرات ومعان وتصورات شخصية تستحثها الصورة فيه) والمستوى الأخير هو التفسير الناقد (وهو قدرة الشخص على تفسير الصورة في معايير ومحكات خارجية وهذا المستوى يقابل مستوى التقويم عند غيره). وكان "هنش" "Heninich" قد حدد خمسة مستويات لقراءة الصورة هي: التعرف بمعنى عد عناصر الصورة، والوصف تقديم وصف لوضع عناصر الصورة، والتحليل وهو استخدام الخبرة في تفسير الصورة، الإبداع وهو توظيف عناصر الصورة، ثم التركيب وهو كتابة تقرير عن الصورة. أما الدارسين العرب فقد وضعوا مستويات أخرى بالإضافة إلى المستويات المذكورة سابقاً، فنجد "علي محمد عبد المنعم" يتبنى تصوراً لمستويات قراءة الصورة أو البصريات بصفة عامة تكون من مستويات سبع¹⁸:

- مستوى التعرف: وذلك بالتعرف إلى عناصر المثير البصري وعددها وتسميتها (المستوى الأدنى).
- مستوى الوصف: بوصف عناصر المثير البصري وتحديد تفصيلاته.
- مستوى التحليل: وذلك بتصنيف عناصر المثير البصري وتجميعها لتحديد موقعها في شبكة معلوماته المعرفية واستدعاء الخبرات السابقة المرتبطة بها.
- مستوى الربط والتركيب: وذلك بربط عناصر المثير البصري بعضها ببعض، مع محاولة وضع فروض واقتراحات حول المعاني التي يمكن استخلاصها عند تركيب هذه العناصر مع بعضها في كل متكامل.
- مستوى التفسير واستخلاص المعنى: وذلك بتقديم التفسيرات اللازمة للفروض والافتراضات حول المعنى المستخلص من المثير البصري، والتوصل إلى قرار يتعلق باستخلاص المعنى الذي تحمله رسالة المثير البصري، وما يرتبط بذلك من مفاهيم.
- مستوى الإبداع: ويتم بتوظيف المعنى والمفاهيم المستخلصة لاستخدامها في مواقف عديدة ويظهر ذلك على شكل تغيرات سلوكية.
- مستوى النقد: الذي يوجه إلى المثير البصري المقصود من كل جوانبه، مع تقديم الاقتراحات التي تتعلق بتطوير ذلك المثير.

أما دراسة "الحصري" حول "مستويات قراءة الرسوم التوضيحية ومدى توافرها في الأسئلة المصورة بكتب وامتحانات العلوم بالمرحلة الإعدادية" فتتضمن اقتراح لمستويات قراءة الرسوم التوضيحية مكوناً من أحد عشر مستوى هي: التعرف، والاستدعاء غير اللفظي، والاستدعاء

اللفظي، والوصف، والمقارنة، والتصنيف، والترتيب، والاستخدام المباشر للعلاقات، والتفسير، والتنبؤ، وحل المشكلة، وقد خلا هذا التصور من التحليل والترتيب والتقويم حيث جمع الباحث بين عمليتي التحليل والترتيب تحت مستوى (حل المشكلة)، أما التقويم فلم يكن من أهداف بحثه¹⁹. والواضح مما سبق، أنه يوجد اختلاف بين المهتمين بهذا الموضوع فيما يتعلق بعدد مستويات قراءة الصورة مما يجعل هذه المستويات الافتراضية تصلح مع كل الصور والبصريات بصفة عامة.

لكن تعدد الآراء لا ينفي كونها تجتمع حول فكرة مركزية ألا وهي أن القراءة البصرية تبدأ بالتعرف، ثم الوصف، وتنتهي بالتفسير. وأن هذه المستويات الثلاثة هي أكثر المستويات المتفق عليها، رغم اختلاف التسميات التي يطلقونها عليها، كالعهد بدلا من التعرف، والترجمة أو التحويل بدلا من الوصف...

4-1 وظائف الصور والرسوم التوضيحية التعليمية التعليمية:

تعتبر الكلمة والصورة عن الأفكار من خلال علاقتهما الوثيقة ببعضهما، فرغم أنه في بعض الأحيان تستطيع إحداها التعبير عن الفكرة منفردة إلا أن الاثنتين مجتمعان تجعلان الرسالة أوضح، خصوصا لأولئك الذين لا يتقنون القراءة بشكل جيد، «ويقترح فتجنشطاين (Wittgenstein) تعليما توضيحيا يربط الكلمات بالأشياء، حين اكتساب اللغة، حيث يعمل المعلم في تدريب الأطفال على النطق بالكلمة، ثم بعد ذلك يظهر صورة الشيء الذي تحيل عليه»²⁰، وهو يربط اقتراحه بالسنوات الأولى للدراسة، أي بالأقسام الابتدائية، بوصفها مرحلة مهمة لتدريب الأطفال على الاكتساب. وقد تأتي الكلمات والصور في سياق واحد على أشكال عديدة منها²¹:

- أن تحمل الكلمات شكل الرسالة الرئيسية لتؤدي الصور إحدى الوظائف التالية: جذب الانتباه لقسم معين، توضيح بعض المفاهيم، المساهمة في تكوين مزاج معين، تقديم معلومات أكثر عن الأفكار الموجودة في النص.

- أن تحمل الصور الرسالة الرئيسية لتؤدي الكلمات إحدى الوظائف التالية: تأكيد بعض أقسام الفكرة البصرية، توضيح أهمية الفكرة المصورة، المساهمة في تكوين مزاج معين، تضيف معلومات إلى الفكرة المصورة، تكوين مفهوم في سياق الصورة.

- أن تقول الكلمة والصورة الشيء نفسه، وهذا شائع جدا في كتب محو الأمية للمبتدئين، (ومثال ذلك الكلمة حصان وصورة الحصان تظهران سوية).

تؤدي الصور والرسوم التوضيحية المرافقة للنصوص داخل الكتاب المدرسي المخصص للأطفال عدة وظائف، تسمح لها بأن تفرض وجودها بإلحاح على غرار النصوص اللغوية، إذ «يستعمل الكتاب المدرسي الصور التوضيحية كلغة أخرى لتبليغ أفكار وآراء وتصورات متنوعة، فهذه الرسوم تُعتبر حاملة بدورها لمضامين ومدلولات تدعم ما ورد في النصوص أو تجسده، ولذلك، فهي تنطوي أيضا على وظائف بيداغوجية متعددة، وتضفي على الكتاب قدرا ما من الجاذبية والجمالية»²². إنها تعمل على تحقيق أهداف تربوية وتعليمية واضحة ومحددة من خلال تأديتها للعديد من الوظائف.

لقد جاءت نتائج عديد الدراسات العربية والأجنبية معززة ومؤكدة لفاعلية الرسوم والصور الموجودة ضمن الكتب المدرسية في عمليتي التعليم والتعلم، وقد حدد "ليفين" Levin²³ ثمانى وظائف أساسية للرسوم والصور في الكتب المدرسية وهي: الحفز وإثارة الدافعية لدى المتعلم، والتنظيم والتفسير، والمساعدة على التصور والتكرار، والتزين، والتعويض والنقل. أما "دوشاستيل" فقد اختصرها في ثلاث وظائف رئيسية: إثارة الاهتمام، والتوضيح، والاحتفاظ بالمعلومات لفترة طويلة²³.

بالإضافة إلى وظائف بيداغوجية هي²⁴:

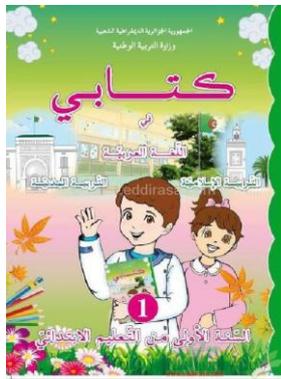
- تشخيص مضامين النص، سواء كانت عبارة عن مفردات أو عبارات أو أفكار أو تصورات، حيث يمكن تقديم الأشياء المحسوسة بكفاية أكبر عن طريق الصور لا عن طريق الألفاظ.
- تمثيل الوقائع والموضوعات التي قد لا يصادفها المتعلم في الوسط القريب أو التي تستعصي على الملاحظة المباشرة.
- العمل على إبراز أو تجسيد بعض التحولات التي تطرأ على الوقائع والظواهر، مثل: فكرة الديناميكية والتفاعلات الكيماوية.
- المساعدة على تنمية قدرات التفكير لدى المتعلمين القراء.
- العمل على تقديم التصورات والخلاصات التركيبية التي لا يمكن تجسيدها إلا بواسطة الرسم والصور.
- تسهيل عملية الحفظ والتذكر، فقد تكون الصور أحيانا أبلغ من الخطاب المطول.
- إن الصورة داخل الكتاب تعمل على منح الطفل فسحة للملاحظة الهادئة المتأنية، لإدراك التفاصيل الشيقة التي تروقه، وكذلك ليسأل ويحصل على التفسير المناسب والشرح الوافي لأسئلته، فهو بذلك يكون إيجابيا، إذ يلاحظ ويفكر، ويتكلم ويسمع نفسه، أو يسمع الآخرين. عكس الصورة المتحركة (التلفزيونية) يظل الطفل سلبي. بالإضافة إلى ذلك فلغة الصورة تتكامل مع لغة الكلام عند قراءة الصورة كما تساعد الصورة على خلق مواقف، وعلى تذكر البيئة وما بها، وكذا تساعد على التعليق على كل صورة على حدة، وعلى إثراء القاموس اللفظي للطفل، وأخيرا على تولد الحوار أو المحادثة²⁵. بالإضافة إلى كل الوظائف السابقة، الصورة تعمل على ترقية الذوق الجمالي للطفل، حيث تعطي بعدا جماليا للقصة، مما يكسب الطفل متعة زيادة على ما يقدمه النص اللغوي، خاصة قبل سن العاشرة إذ يكون في أشد الحاجة إلى ربطه بالعالم المحسوس عن طريق الصور، لأن قدرته على التجريد لم تتحقق بعد.

2- تحليل نماذج من كتاب اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم الابتدائي :

تقدم صور كتاب "اللغة العربية التربوية الإسلامية والتربية المدنية" الموجه لمتعلمي السنة الأولى من التعليم الابتدائي بالمدرسة الجزائرية شخصية الطفل "أحمد" في وضعيات مختلفة تتماشى والأغراض المتوخاة من ورائها، بالإضافة إلى رسم الأجواء المدرسية، وتقديم شخصية المواطن

الصالح...، والمطلع على هذه الصور في مجملها يلمس ذلك الوجود المركزي لشخصية "أحمد"، الطفل صاحب الست سنوات، لتمثل صورته كل أبناء جيله؛ أي الأطفال أصحاب الست سنوات، وهم أطفال السنة الأولى من التعليم الابتدائي، مما يجعل كل متعلم يرى نفسه من خلال شخصية "أحمد". ولعل الأمر يتضح أكثر من خلال النماذج المختارة من صور الكتاب، والتي تم اختيارها بطريقة عشوائية من صفحات متفرقة من الكتاب، وستكون القراءة السيميائية للصور من خلال مراحل ثلاث، تتمثل في تحديد طبيعة الصورة، تحليل مكوناتها، وأخيرا تقديم مختلف التأويلات المحتملة لها، لتكون المرحلتين الأولى والثانية بمثابة القراءة الوصفية للصورة، والخاصة بمستوى التعيين، على خلاف المرحلة الثالثة تمثل القراءة التأويلية التي تتجاوز عملية الوصف، في محاولة لربط مستوى التعيين بمستوى التضمين بوصفهما قطبا الوظيفة السيميائية.

2-1 صورة غلاف الكتاب:



أ- طبيعة الصورة: لا يمكن تحديد طبيعة الصورة إلا من خلال التعرض لعلاماتها بنوعها، الأيقونية والتشكيلية. والبداية مع العلامات الأيقونية حيث أن أول ما يلفت انتباهنا في صورة غلاف كتاب اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم الابتدائي، هي صورة الشخصية المركزية التي تتوسط الصفحة، إن صورة طفل صغير بملامح واضحة يحمل نسخة من كتاب اللغة العربية للسنة الأولى، وإلى جانبه فتاة تشبهه وتبدو أقل

منه سنا. أما عن الخلفية فتمثلة في ثلاثة معالم أساسية في المجتمع وهي المدرسة، المسجد، والبلدية وهو ما نستشفه من خلال شكل البناءات. لصورة الغلاف إطار جميل من الحشائش والورود بالإضافة إلى أقلام مختلفة الألوان تمثل عينة عن الأدوات المدرسية.

أما عن العلامات التشكيلية فالواضح في صورة الغلاف هو الاستعمال الكبير للخطوط المنحنية الانسيابية، والمعروف أن الخطوط المنحنية ترمز-ضمن ما ترمز إليه- إلى السهولة واليسر، في حين أن الخطوط المنكسرة ترمز إلى الصعوبة والتأزم والعقبات، لذلك فإن الخطوط المنحنية تبدو مناسبة بشكل كبير للوضعيات التي ظهرت عليها الشخصيات، وهي حالة الفرح والسرور والاستقرار النفسي...، وهذا لا يمنع وجود بعض الخطوط المنكسرة التي استدعتها الضرورة الحتمية، حيث جاءت مناسبة لطبيعة الأشياء التي تمثلها كالبناءات الظاهرة في خلفية الصورة. وقد كان اللون الغالب على الصورة هو لون الخلفية الأخضر الجميل بالإضافة إلى الألوان المشكلة للصور كالأزرق، والوردي، والبني وغيرها.

ب - مكونات الصورة: وهنا تكون الدراسة مجملة لمكونات الصورة ككل، بداية من التنظيم المجمل للصورة، مروراً إلى المنظور والإطار، ووصولاً إلى زاوية النظر والإضاءة والألوان. وعلى خلاف الاستقبال الخطي للرسائل اللسانية، يكون الاستقبال الأولي للرسائل البصرية

استقبالا مجملا قبل أن يتحول إلى قراءة خطية، ففي صورة غلاف هذا الكتاب، أكثر ما يلفت انتباهنا هو صورة البطلين التي تأتي في مقدمة الصورة ثم بعض الصور الأخرى التي تمثل الخلفية أو تحيط بالصورة في شكل إطار. تبدو هذه الصورة مشتتة في مستويات المكان المتعددة، والتي لا تكاد تكون واضحة؛ لأن أغلب الصور جاءت مبتورة لا تظهر سوى جزء بسيط من المكان، إنها تمثل صورا افتراضية (منظور افتراضي)، لا يوجد فيه مراعاة للمسافات الحقيقية، فهي قد ظهرت إجمالاً بإطار متوسط، وهو الإطار الذي يقدم صورا نصفية كالاكتفاء بإظهار الجزء العلوي للشخصيات.

أما فيما يخص زاوية النظر التي تربط بين العين والموضوع المنظور إليه، فالتركيز هنا يكون على زاوية النظر الوجيهة، أي تلك التي تقابلنا وجها لوجه وكأنها تخاطبنا، وما يؤكد ذلك هو أن الصورة مرسومة يدويا، وليست صورة فوتوغرافية، وبما أن هذه الصورة تخاطب المتعلم بالدرجة الأولى، فهي تحاول أن تربطه أولا بموضوع التعلم، من خلال صورة البطل "أحمد" الذي يحمل نفس الكتاب، وصورة الفتاة بجانبه والذالة على تنوع المتعلمين المقصودين بالكتاب بين ذكور وإناث. وتقدم صورة الكتب عينات عن أهم المؤسسات التي تشكل العالم الخارجي للطفل والمتمثلة في صورة المسجد، صورة المدرسة، وصورة البلدية، وهي تعبر عن بعض المواقف التي يجب على الطفل أن يتعلم كيفية التعامل عندما تواجهه، والتي تطرح لاحقا في موضوعات خاصة داخل الكتاب.

أما من حيث الألوان فنلاحظ على سطح الغلاف ككل وكخلفية لمجموع الصور، سيطرة اللون الأخضر المائل إلى الصفرة وهومن الألوان الثانوية الجميلة والجذابة، والذي ينتج عن المزج بين الأزرق والأصفر، والمعروف أن اللون الأخضر هو رمز الحياة والنماء، وهو من الألوان المريحة للعين والتي تبعث على الهدوء والسكينة والطمأنينة، كما يعكس للنفس إحياء بالأجواء لطبيعية ما يسمع له بامتصاص الطاقة السلبية من جسم الإنسان، وهذا هو المطلوب بالنسبة لطفل السنة الأولى الذي يتسم عموما بالإفراط في النشاط وقلة في التركيز ونقص فالانضباط نظير حداثة سنه وعدم عوده على النظام المدرسي.

أما بقية الألوان فقد تنوعت بين الأزرق والوردي اللذان يمثلان لباسي الطفلين والذي يرجح أنهما عبارة عن مآزر مما يدل على استعدادهم للذهاب إلى المدرسة والسعادة تغمرهما. بالإضافة إلى ألوان أخرى ظهرت بدرجة أقل كالبنّي (الشعر)، والألوان المختلفة للأقلام والأزهار وغيرها، والتي كانت في عمومها متناسقة وجذابة خاصة لفئة الطفولة.

ج- تأويل الصورة: إن أي صورة مهما كان نوعها أو الهدف منها، لا تخرج عن كونها قابلة للتعدد التأويلي، وهذا ما لمسناه أيضا في صورة الغلاف الخاصة بكتاب اللغة العربية لطفل السنة الأولى ابتدائي، إذ نجدها حاملة لعدة رسائل قد تكون خادمة لغرضها وقد لا تكون كذلك، من أهمها:

- تظهر الصورة الطفل "أحمد" بملامح تدل على السعادة والرضا، وهو يرفع يده محييا جميع الأطفال الذين هم في سنه، والمستهدفين من هذا الكتاب، ومعه فتاة تبدو عليها كذلك علامات الفرح والبهجة، وهي رسالة إيجابية تبث التفاؤل والطمأنينة عند الطفل في مثل سنهم حيث يرى

نفسه من خلال هاتين الشخصيتين فيتخلص من مخاوفه اتجاه المدرسة، ويسعد بالدخول المدرسي كغيره من الزملاء.

- تتجلى من خلال الصورة مركزية الطفل وإلى جانبه وبدرجة أقل الفتاة، إن المتمعن في الصورة يلاحظ أسبقية صورة الطفل عن صورة الفتاة هذه الأخيرة التي تأتي متأخرة بدرجة من حيث التوضع وهو ما قد يخلف إحساس بمركزية الذكور على الإناث؛ فهو السابق وهو من يمتلك الكتاب وهي تابعة له وملحقة به.

- تعرف خلفية الصورة الطفل بطريقة ذكية بأهم المؤسسات الموجودة في المجتمع والتي تشكل فضاءات يرتادها الطفل وقد لا يعرف الهدف منها وهي لمحة عن أهم المحطات التعليمية التي سيمر بها المتعلم خلال تعرفه على كتابه، وهي متنوعة تنوع مضمون الكتاب حيث أن الكتاب لم يعد كتاب لغة عربية وحسب بل يضم التربية الإسلامية التي ترمز إليها صورة المسجد والتربية المدنية التي ترمز لها صورة البلدية، والمتمعن يجد أن ترتيب الصور والرسائل اللغوية ليس اعتباطيا البتة بل نجد كل نشاط يصاحب من حيث الموقع الصورة التي تدل عليه.

- توجد إلى جانب الصورة بعض الرسائل اللغوية التي تأتي مدعمة للرسالة البصرية، والتي تحدد طبيعة الكتاب والفئة المستهدفة من وراءه والهيئة التابع لها. والبارز هو ورود كلمة "كتابي" بدلا من "كتاب" وذلك مراعاة لطبيعة الطفل في هذا السن حيث يرغب كثيرا في امتلاك الأشياء والتعبير عن

ذلك، كما يحس بمركزية ذاته لذلك جاءت ياء النسبة الدالة على الأنا لتروي ظمناً الطفل إلى إبراز الذات والتباهي بها.

- تبدو صورة غلاف هذا الكتاب جذابة وجميلة تمثل حديقة غناء حيث تجمع بين صور الأشخاص والمباني وعناصر الطبيعة المختلفة كالأشجار والأزهار، كما يظهر فيها العلم الوطني بألوانه الجميلة لتكرس هذه الصورة في مجملها انتماء الطفل إلى لغته العربية وبلده الجزائر ودينه الإسلام في آن معا.



2-2 الصورة الأولى في الكتاب:

أ- طبيعة الصورة: تقدم الصورة مجموعة من العلامات الأيقونية المتمثلة في صور نصفية لمجموعة من الأطفال، تتوسطها صورة البطل "أحمد"، الذي يقدم من خلال النص معلومات عن اسمه، سنه، وهواياته. هي صورة الطفل "أحمد" محاطة بصور لأطفال بأشكال وحالات مختلفة، وتركز الصور على اختلاف اللون بين الأشقر، والأسمر، والأسود. بالإضافة إلى صورة طفل كفيف يرتدي نظارات سوداء. ومن بين هؤلاء الأطفال أخت البطل الصغيرة "خديجة"، وتظهر الصورة بشكل مفتوح، لأنها غير محاطة بإطار.

كما تقدم الصورة مجموعة من العلامات التشكيلية، التي تمثلت في استعمال الخطوط المنحنية، التي ترمز إلى السهولة والبساطة والمباشرة، وهي مناسبة تماما لبساطة الرسائل التي تنقلها

مثل هذه الصورة خاصة وأنها تتجه إلى متلقي مبتدئ، فليس من المناسب أن تأتي الصورة معقدة ومركبة.

أما عن ألوان الصورة فالخلفية جاءت بلون أبيض، تتموقع عليها صورة طفل صغير بشعر بني غير واضح الملامح، يرتدي كثره زرقاء. وصور الأطفال الآخرين بألوان متعددة كالشعر الأصفر والأحمر والأسود... والملابس الوردية، والخضراء، والبرتقالية، بالإضافة إلى الاختلاف في لون البشرة.

ب- مكونات الصورة: إن وضوح الصورة وبساطتها تجعل عملية الاستقبال الأولى لها واضحة وجلية، حيث نلاحظ وجود الشخصية المحورية الموجودة على غلاف الكتاب، بالإضافة إلى مجموعة من الشخصيات الأخرى، هذه الصور جاءت محيطة بالصورة الأولى. تأتي مختلف هذه المعطيات بمعزل عن المكان؛ حيث تتوزع الصور في كل أجزاء صفحة الكتاب. ومن خلال هذه المعطيات السابقة، نلاحظ أن التركيز في الصورة يكون على شخصية الطفل "أحمد" الذي يظهر وهو يلوح بإحدى يديه تعبيرا عن التحية، تبدو عليه ملامح السرور، على غرار بقية أفراد الصورة الذين يبتسمون في بهجة وسرور.

بالنسبة لألوان الصور تبدو مناسبة للواقع الجزائري فأغلب الذكور بزي أزرق والأزرق هو لون رجالي، والإناث بألوان زاهية كالوردي، والبرتقالي والزهري وهو لون نسائي خالص... والملفت للانتباه هو اختلاف لون بشرة الأطفال حيث تحاول هذه الصور أن تلمس جميع الأطفال المعنيين بهذا الكتاب باختلاف بيئاتهم وألوانهم فالجزائر بلد شاسع وزاخر بالتنوع.

ج- تأويل الصورة: إن تأويل هذه الإرسالية البصرية لا يمكن أن يتم بمعزل عن سياقها الداخلي، الذي يساهم في إنتاج العديد من الدلالات المحتملة لهذه الصورة، سواء من خلال العنوان أو النص اللغوي الذي يرافقها، ثم ما يخص السياقات الخارجية التي تحملها الرسالة البصرية. الصورة والسياق الداخلي: والمقصود بالسياق الداخلي علاقة الصورة باعتبارها رسالة بصرية بما يحيط بها على محيط الصفحة من رسائل لسانية. العبارة الوحيدة المرافقة للصورة هي "مرحبا بكم" الصادرة عن الطفل "أحمد" إنه يحيي كل أطفال الجزائر الذين هم في مثل سنه وحركة يده دليل على ذلك.

وتترجم الصورة في جزء منها ما يقوله النص اللغوي، تظهر الصورة "أحمد" في وضعية المتكلم، وهو يحيي رفاقه رافعا يده اليمنى، مترجما بذلك عبارة "مرحبا بكم"، أما صور بقية الشخصيات فتكتفي بالابتسامة الدالة على الفرح والرضى، إن الصورة هنا تأتي كوسيلة لتدعيم وتجسيد معلومات النص اللغوي من أجل خلق نوع من التشويق وفتح المجال أمام الطفل لاستعمال خياله الخصب.

الصورة والسياق الخارجي: والمقصود هنا هو ما يحيط بالصورة من سياقات خارجية وظروف، إما أن تكون مساعدة على تبليغ الرسالة للمتعلم، أو أن تكون على العكس من ذلك؛ مشوشة ومعرقلة لعملية التعلم، وتطرح الصورة عديد السياقات (الاجتماعي، الثقافي، الاقتصادي، والنفسي...)، وذلك من أجل تبليغ عدة رسائل خاصة وأنها تمثل وسيلة فعالة للتواصل مع المتعلمين، وهي لا

تقتصر على تعليم اللغة فقط بل هناك غايات بعيدة المدى، كتكوين شخصية المواطن الصالح على سبيل المثال.

- تقدم الصورة نموذج الطفل النظيف مرتب الهندام، وهو يرحب بأصدقائه الأطفال، ومن حوله أطفال يستقبلون التحية وملامح السرور بادية على وجوههم، رغم اختلاف وامتيازهم وألوانهم فكلمهم أبناء الوطن الواحد إنهم أطفال الجزائر. تحمل الصورة مجموعة من الرسائل أهمها:

- تشجيع الطفل على المبادرة بالكلام والتحية، من خلال الاقتداء بشخصية "أحمد"، الذي يمثل صورة طفل السنة الأولى صاحب الست سنوات، بالإضافة إلى ترسيخ فكرة المجموعة برغم الاختلافات بين الأطفال والتي سيعيشها الطفل في فصله الدراسي.

- تقديم شخصية "أحمد" على أنها الشخصية المحورية في الكتاب، كشخصية صديقة لكل طفل في هذا المستوى، وإدخال الطفل في جو الدروس بطريقة ذكية وكأنه يعيش موقفا حياتيا عاديا بتعرفه على صديق جديد هو صديق الدراسة.

2-3 الصورة المرافقة لنص "تعرف على عائلتي":



أ- طبيعة الصورة: تقدم الصورة مجموعة من العلامات الأيقونية المتمثلة في صور "أحمد" وأفراد عائلته (الأب والأم، الجد والجددة، والأخت الصغرى خديجة)، وهم يستقبلون صديقه "بلال"، وهذا ما يؤكد النص اللغوي المرفق. تبدو على الشخصيات علامات الفرح والبهجة هم بصدد تناول الشاي والحلوى التي أعدتها الأم. كما تقدم الصورة مجموعة من العلامات التشكيلية، التي تمثلت في استعمال الخطوط المنحنية، التي ترمز إلى السهولة والبساطة، والمباشرة ما يتناسب وقدرات الطفل في تلك السن.

أما عن ألوان الصورة؛ فالخلفية جاءت باللون الأصفر البارد، تظهر من خلالها جليا شخصيات ذات ملامح متقاربة بفروقات بسيطة في لون الشعر والبشرة فلا ننسى أننا نتحدث عن أفراد لعائلة واحدة، ترتدي الشخصيات ملابس مختلفة الألوان تتراوح بين الوردية والأخضر والأصفر بالنسبة للشخصيات النسائية، والأزرق والأخضر والبني بالنسبة للشخصيات الرجالية.

ب- مكونات الصورة: إن وضوح الصورة وبساطتها تجعل عملية الاستقبال الأولى لها واضحة وجلية، حيث نلاحظ وجود الشخصية المحورية الموجودة على غلاف الكتاب "أحمد"، بالإضافة إلى مجموعة من الشخصيات الأخرى المتمثلة في صور جده وجدته، أمه وأبيه، أخته وصديقه بلال. وتأتي مختلف هذه المعطيات في مكان محدد وهو منزل عائلة "أحمد"؛ حيث تظهر الشخصيات مجتمعة في جزء من غرفة الاستقبال التي لا يظهر منها سوى الأريكة، وطاولة أمامها، وبعض أدوات الديكور (كاللوحة، المزهرية...) والذي يؤكد نوعية هو وجود الضيف الذي يتم استقباله في العرف العام في غرفة الاستقبال دون غيرها. ومن خلال هذه المعطيات السابقة، نلاحظ أن التركيز في الصورة يكون على شخصية الطفل الذي يظهر بملامح الفرح وسرور، ويشير بيده مرحبا بصديقه، دون إهمال بقية أفراد العائلة.

بالنسبة للألوان كانت الخلفية بلون أصفر بارد، والمعروف أن اللون الأصفر هو من أحب الألوان إلى الطفل، كما بقية ألوان الصورة مناسبة للواقع الجزائري فالرجل بزي أرزق والأزرق هو لون رجالي، والبنت بلون زهري وهو لون نسائي خالص...

ج- تأويل الصورة: إن تأويل هذه الإرسالية البصرية لا يمكن أن يتم بمعزل عن سياقها الداخلي، الذي يساهم في إنتاج العديد من الدلالات المحتملة لهذه الصورة، سواء من خلال العنوان أو النص اللغوي الذي يرافقها، ثم ما يخص السياقات الخارجية التي تحملها الرسالة البصرية. الصورة والسياق الداخلي: والمقصود بالسياق الداخلي علاقة الصورة باعتبارها رسالة بصرية بما يحيط بها على محيط الصفحة من رسائل لسانية. ستكون البداية من العلاقة بين الصورة وعنوان النص "تعرف على عائلتي"، حيث يركز العنوان والصورة معا على تعريفنا بأفراد عائلة "أحمد" الشخصية المحورية، كما تترجم الصورة ما يقوله النص اللغوي، من خلال إظهارها لصور بعض الشخصيات المذكورة ضمنه. تظهر الصورة "أحمد" في وضعية المتكلم، وهو يشير إلى أفراد عائلته بإحدى يديه، مترجما بذلك عبارة "هذا جدي وهذه جدتي، وهذه أختي الصغرى خديجة"، وناسبا إلى نفسه مختلف أفراد العائلة، إنه يقدم نفسه من خلال أفراد أسرته، لذلك كانت صورة "أحمد" هي الجزء المركزي في الصورة ككل.

أما صور بقية الشخصيات فتظهر أقل حجما، وذلك بناء على دورها الثانوي داخل النص أيضا، فالنص لا يقدم سوى تعريف بسيط وأولي لهذه الشخصيات المصورة. كما تقع الصورة أعلى النص اللغوي، في الجزء العلوي من الصفحة، وهي لا تخرج في مكوناتها عن مضمون النص، إن الصورة هنا تأتي كوسيلة لتدعيم وتجسيد معلومات النص اللغوي من أجل خلق نوع من التشويق وفتح المجال أمام الطفل لاستعمال خياله الخصب.

الصورة والسياق الخارجي: والمقصود هنا هو ما يحيط بالصورة من سياقات خارجية وظروف، إما أن تكون مساعدة على تبليغ الرسالة للمتعلم، أو أن تكون على العكس من ذلك؛ مشوشة ومعرقلة لعملية التعلم، وتطرح الصورة عديد السياقات (الاجتماعي، الثقافي، الاقتصادي، والنفسي...)، وذلك من أجل تبليغ عدة رسائل خاصة وأنها تمثل وسيلة فعالة للتواصل مع المتعلمين، وهي لا تقتصر على تعليم اللغة فقط بل هناك غايات بعيدة المدى، كتكوين شخصية المواطن الصالح على سبيل المثال.

تقدم الصورة نموذج الطفل النظيف مرتب الهندام، الذي يعيش حياة مستقرة وسعيدة، إلى جانب صورة العائلة المنسجمة، التي يظهر عليها تفاهم أسري يتضح من خلال ملامح الشخصيات التي تحيل على الرضا والسكينة، يبدو أن هذه العائلة تعيش نوعا من الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي، تحمل الصورة عدة رسائل من أهمها:

- تشجيع الطفل على الترحيب بالضيف وإكرامه، من خلال الاقتداء بشخصية "أحمد"، الذي يمثل صورة طفل السنة الأولى من التعليم الابتدائي بما أنه طفل ست سنوات، وترسيخ فكرة الانتماء

الأسري للطفل فهو يقدم نفسه من خلال أفراد أسرته الذين يحترمهم ويقدرهم، خاصة وأن الأسرة هي الوسط الأول الذي يحتضن الطفل.

- تشجيع فكرة العائلة الصغيرة الكبيرة في آن معا، والمكونة من الأب والأم وطفلين، بالإضافة إلى الجد والجدة. رغم أن الوسط الاجتماعي للطفل المتعلم قد لا يعكس مثل هذه الصورة؛ فمن جهة العائلة الجزائرية هي عائلة متعددة الأفراد (عدة أولاد)، ومن جهة أخرى وجود الجد والجدة في نفس البيت صار أمرا نادرا. وهذا قد يُصعّب على الطفل عملية الربط بين الصورة والواقع الذي يعيشه، وبالتالي تبقى تلك الصورة ضربا من الخيال.

- تقديم صورة العائلة المكتملة الأفراد، التي تعيش نوعا من الرفاهية الاقتصادية؛ والاستقرار المادي والنفسي، إنها حياة قد لا يستطيع الكثير من الأولياء توفيرها لأولادهم.

- تقزيم دور الأب والأم في الصورة فمن حيث موقعهما في فضاء الصورة ظهرت الشخصيتان خلف صورة الابن، ومن جهة أخرى لم تتم الإشارة إليهما في النص اللغوي المرافق للصورة وتم التركيز على الجد والجدة والأخت الصغرى.

- عدم تقديم معلومات كافية عن عائلة "أحمد"، وهذا قد يطرح العديد من التساؤلات عن عمل الأب مثلا، الأم هل هي عاملة أم لا؟، هل الجد والجدة يقيمان في نفس البيت أم هما ضيفان؟ كما لم تقدم معلومات عن شخصية "بلال" هل هو جار جديد؟، أم هو زميل دراسة؟....، وهذا الأمر قد يشوش على الطفل المتعلم تركيزه لأن النص لا يشبع رغبته فالاستكشاف.

خاتمة:

إن الصورة التعليمية المتواجدة بين دفتي كتاب اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم الابتدائي كغيرها من الصور التي تشترك في أداء الوظيفة البيداغوجية، تحمل مجموعة من الرسائل التي تحاول من خلالها ترسيخ القيم النبيلة والأخلاق الحميدة في شخصية طفل اليوم ورجل الغد، وتسهيل عملية تعليم وتعلم اللغة في مرحلة يعجز المتعلم فيها عن إدراك المعاني المجردة. ومن خلال الدراسة النظرية والتطبيقية خلص البحث إلى جملة من النتائج نجملها فيما يلي:

- استخدام الصورة في الكتاب المدرسي ضرورة ملحة، نظرا لما تتمتع به من جاذبية وتشويق وقدرة على نقل المعاني المجردة في ايجاز ودقة ووضوح. ولذلك أصبح من الضرورة إعطاؤها الاهتمام اللازم، بكل حيثياتها وعناصرها، ثم إعادة النظر في الرسائل السلبية التي قد تحملها للمتعلم.

- تتسم صور كتاب اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم الابتدائي بالبساطة والمباشرة، فهي تعرض وضعيات قريبة من حياة المتعلم، وذلك من خلال تواجده مع العائلة، ثم المدرسة، ثم الحي، وما يواجهه أثناء ذلك من موضوعات متعلقة بالرياضة، الطبيعة، التغذية، التواصل، والانتماء.

- تعمل صور هذا الكتاب على غرس حب المدرسة في طفل السنة الأولى من التعليم الابتدائي وتشويقه إلى مقاعد الدراسة، من خلال تكريس روح الجماعة، والتعرف على الأصدقاء. وتنمية القيم المختلفة التي تسمح بتكوين شخصية المواطن الصالح، كحب الوطن وغيرها.

- تزرع هذه الصور روح المحبة والتواضع والابتعاد عن التمييز العنصري والتنمر، من خلال التنوع في عرض الشخصيات وأشكالهم وألوانهم. كما تشجع أيضا دور الأسرة في حياة الطفل وترسخ المحبة والاحترام بين أفرادها. وتشجع الطفل على احترام الكبير من خلال مكانة الجد والجدة داخل الأسرة.
- تعرض صور الكتاب بعض الأفكار الغريبة عن المجتمع الجزائري، كقلة عدد الأبناء في العائلة الواحدة وهي فكرة غريبة، بالإضافة إلى ظهور الجدة بشعر مكشوف وهو مالم يتعود عليه الطفل، واقتصار طاولة الأكل مثلا على الأب والأم وطفلين في غياب واضح للجد والجدة وهو الاتجاه الذي سلكته مؤخرا العائلات الجزائرية التي يستقل فيها الرجل عن بيت العائلة الكبيرة.
- تظهر بعض الصور نوع من الرفاهية والترف لا يتمتع بها أغلب أطفال الجزائر كالغرفة الخاصة، الذهاب في رحلة، المأكولات الشهية وغيرها
- وجود فجوة بين الصورة وسياقها الداخلي أي علاقتها بالرسائل اللسانية التي تصاحبها مما يجعلها غير خادمة للموضوع بالشكل المطلوب.
- وأخيرا لا شك أننا عند اختيارنا لصور الكتاب المدرسي نكون أمام مسؤولية كبيرة جدا، كون المتعلم هو كتلة من الجوانب النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي لا مناص من مراعاتها حتى لا تؤدي الصورة دور التشتيت والتعقيد بدل شد الانتباه والتيسير.

الإحالات:

- ¹ عبد الهادي محمد فتحي وآخرون، مكتبات الأطفال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص58.
- ² عبد الله العلي أحمد، 2002، الطفل والتربية الثقافية - رؤية مستقبلية للقرن الواحد والعشرين-، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ص86.
- ³ المرجع نفسه، ص 47، 48.
- ⁴ الماكري محمد، 1991، الشكل والخطاب -مدخل لتحليل ظاهراتي-، المركز الثقافي العربي، الدتر البيضاء، المغرب، ط1، ص6.
- ⁵ ينظر، ميرابل سيسيليا، 1997، مشكلات الأدب الطفلي -دراسات نقدية عالمية-، تر: مها عرنوق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق سوريا، ص138.
- ⁶ المرجع نفسه، ص 17، 18.
- ⁷ ينظر، زيتون كمال عبد الحميد، 2002، تكنولوجيا التعليم في عصر المعلومات والاتصالات، عالم الكتب، القاهرة، ص170-172.
- ⁸ الفرا إسماعيل صالح، مهارات قراءة الصورة لدى الأطفال بوصفها وسيلة تعليمية تعليمية -دراسة ميدانية-، مؤتمر فيلادلفيا .
- ⁹ أحمد أنور عمر: المرجع السابق، ص47.
- ¹⁰ وين ماري، 1999، الأطفال والإدمان التلفزيوني، تر: عبد الفتاح الصبيحي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط2، ص74.
- ¹¹ الفرغاني عبد العظيم، 1997، التربية التكنولوجية وتكنولوجيا التربية، دار غريب، القاهرة، ص93.
- ¹² الفرا إسماعيل صالح، المرجع السابق.
- ¹³ ينظر، المرجع نفسه.

- ¹⁴ الفرغاني عبد العظيم، المرجع السابق، ص 93.
- ¹⁵ عبد الحميد شاكر، 2005، عصر الصورة-الإيجابيات والسلبيات-، منشورات عالم المعرفة، الكويت، ص 153، 154.
- ¹⁶ ينظر، عبد المنعم علي محمد، 2000، الثقافة البصرية، دار البشري، القاهرة، ص 88، 90.
- ¹⁷ ينظر، الفرا إسماعيل صالح، المرجع السابق.
- ¹⁸ ينظر، عبد المنعم علي محمد، المرجع السابق، ص 92، 93.
- ¹⁹ الفرا إسماعيل صالح، المرجع السابق
- ²⁰ العابد عبد المجيد، 2008، مباحث في السيميائيات، دار القرويين، ط 1، ص 28.
- ²¹ ينظر، زمر آن، زمر فريد، 1978، الصورة في عملية الاتصال-قراءتها وتصميمها من أجل التنمية-، تر: خليل إبراهيم الحماش، المعهد الدولي لطرائق محو الأمية للكبار، طهران-إيران، ص 181، 184.
- ²² الجابري عبد اللطيف، أيت دوصو عبد الرحيم، 2004، الكتاب المدرسي -تقنيات الإعداد وأدوات التقويم-، أفريقيا الشرق، المغرب ص 29.
- ²³ الفرا إسماعيل صالح، المرجع السابق.
- ²⁴ الجابري عبد اللطيف، أيت دوصو عبد الرحيم: المرجع السابق، ص 29، 30.
- ²⁵ ينظر، سبيني سرجيو، 1991، التربية اللغوية للطفل، تر: فوزي عيسى، عبد الفتاح حسم، دار الفكر العربي، الكويت، ص 122.

المراجع:

- زمر آن، زمر فريد، 1978، الصورة في عملية الاتصال-قراءتها وتصميمها من أجل التنمية-، تر: خليل إبراهيم الحماش، المعهد الدولي لطرائق محو الأمية للكبار، طهران-إيران.
- الجابري عبد اللطيف، أيت دوصو عبد الرحيم، 2004، الكتاب المدرسي -تقنيات الإعداد وأدوات التقويم-، أفريقيا الشرق، المغرب.
- سبيني سرجيو، 1991، التربية اللغوية للطفل، تر: فوزي عيسى، عبد الفتاح حسم، دار الفكر العربي، الكويت.
- الفرا، إسماعيل صالح، 2007، مهارات قراءة الصورة لدى الأطفال بوصفها وسيلة تعليمية تعليمية، مؤتمر ثقافة الصورة، جامعة فيلادلفيا، الأردن.
- الفرغاني عبد العظيم، 1997، التربية التكنولوجية وتكنولوجيا التربية، دار غريب، القاهرة.
- العابد عبد المجيد، 2008، مباحث في السيميائيات، دار القرويين، ط 1.
- عبد الحميد شاكر، 2005، عصر الصورة-الإيجابيات والسلبيات-، منشورات عالم المعرفة، الكويت.
- عبد الحميد زيتون، كمال، 2002، تكنولوجيا التعليم في عصر المعلومات والاتصالات، عالم الكتب، القاهرة.
- عبد الله العلي، أحمد، 2002، الطفل والتربية الثقافية -رؤية مستقبلية للقرن الواحد والعشرين-، دار الكتاب الحديث، القاهرة.
- عبد المنعم علي محمد، 2000، الثقافة البصرية، دار البشري، القاهرة.
- عبد الهادي، محمد فتحي وآخرون، مكتبات الأطفال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- عمر، أحمد أنور، الكتاب المدرسي، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الماكري، محمد، 1991، الشكل والخطاب -مدخل لتحليل ظاهراتي-، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
- ميرال، سيسيليا، 1997، مشكلات الأدب الطفلي -دراسات نقدية علمية-، تر: مها عرنوق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق سوريا.
- وين، ماري، 1999، الأطفال والإدمان التلفزيوني، تر: عبد الفتاح الصبيحي، علم المعرفة، المجلس الوطني للفنون والآداب، الكويت.